البخيلة



أحمد شوقي

البخيلة

البخيلة

تأليف
أمير الشعراء أحمد شوقي



البخيلة

أمير الشعراء أحمد شوقي

رقم إيداع ٢٠١٢ / ١٤٨٤٦
تدمك: ٩ ٥٥ ٥١٧١ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ + **فاكس:** ٣٥٣٦٥٨٥٣ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: **hindawi@hindawi.org**
الموقع الإلكتروني: **http://www.hindawi.org**

المحتويات

تمهيد

- **زمن الرواية:** سنة ١٩٠٧
- **مكان الرواية:** القاهرة
- **أشخاص الرواية:**

- **الست نظيفة:** (البخيلة).
- **جمال:** حفيدها.
- **حُسْنَى:** خادمتها.
- **عبد السلام:** طبيب.
- **رشاد:** سمسار.
- **عزيز:** من أبناء الذوات.

الفصل الأول

قهوة «جميل» بميدان «لاظ أوغلي»، «جمال» و«رشاد» على مائدة يتحادثان، وآخرون متفرقون، يدخل صبي القهوة بصينية عليها المطلوب من المشروبات فيناول الزبائن، ويقول: هنا سادة، هنا القرفة، هنا الشاي. ثم ينتقل إلى مائدة «جمال» و«رشاد»، ويقول: خُشاف سيدي، والبانزهير لمن؟[1]

جمال:

البانزهيرُ لي أنا!

رشاد:

وشيشتي يا مصطفى؟

الصبي:

طلبتها يا سيدي

(يمر بائع جرائد مناديًا)

[1] الليمون.

بائع جرائد:

اللوا[٢]

رشاد:

الـــــلــــوا تعال يا ولد

البائع:

اقرُوا حديث مصطفى[٣] اقرُوا خروج المعتَمدْ[٤]

رشاد:

كُرومَرٌ؟ خروجه مـــــــتــــــى؟

البائع:

غدًا أو بعد غد

رشاد:

من قال ذاك؟

---

[٢] جريدة «اللواء» التي أسسها الزعيم مصطفى كامل.

[٣] الزعيم: مصطفى كامل.

[٤] اللورد «كرومر»: المعتمد البريطاني.

البائع (ويمشي):

مصطفى

رشاد:

التفَّت الأفكار حو   ل مصطفى كالقائِد

جمال:

وصارت الأخبار عنــ   ــد باعة الجرائدِ

رشاد:

آمِنْ معي بمصطفى   كفى تعنُّتًا كفى
والـــعـــقـــلاء؟

جمال:

كُلهمو

رشاد:

والأذكياء

جمال:

اشربْهُموا

رشاد:

ما أنت؟

جمال:

لـسـتُ مـنـهـمـو
إنـي أنـا مـع الـبـلـد   إن قام قمتُ أو قعَدْ
لـم يرنـي فـيـه أحدْ

(اثنان على مائدة يتحادثان عن جمال)

الأول:

تأمل المُكثِر عن إعجابِهِ   بنفسه ينظر في ثيابهِ
تلفُّت الطاووس في إهابِهِ

الثاني:

لـلـه مـا أظـرفَـه! يـا لـه فـتـى   قـد أبـدع تـعـالـى شـكـلَـهُ
لـو كـان هـذا ولـدي وواحِـدي   خرجتُ قبل الموت من مالي لهُ

الأول:

من الفتى يا أخي؟

الثاني:

جـــــمـــــال   هذا الذي يخلُف البخيلهْ
عـلـى الـدكـاكـين والـضـيـاعِ   والـثـروة الـضـخـمـة الـجـلـيـلهْ

هذا الذي يفترس الأكياسا ولا يرى الأحلام إلا ماسا
فإن صحا شكا لك الإفلاسا
يأخذ من هذا وذاك بالرِّبا يُعطى نحاسًا لِيردَّ ذهبا
وقبل كل شيء فوق ذا

الأول:

وما يقولون؟

الثاني:

عَجَبْ

الأول:

ماذا؟

الثاني:

بلاطُ بيتِها مركَّبٌ على الذهبْ

الأول:

وذاك الآخَرُ من؟

الثاني:

ذاك من السماسرِ
يبيع كل عامر يصيبه وغامرِ
وكم وكم زوَّج أو وطلَّق من حَرائرِ
تلقاه في كل طريـ ـق كالغبارِ السائرِ

مــن قــهــوةٍ لــبــيــرةٍ   لــمــنــتــدى لــســامــرِ
ويدفع الشباب في الــ   ــوحــولِ والــمــخــاطِــرِ
فــمــن يــدي مــســلــف   إلــي يــدي مــقــامــر
ومــن ســمــوم حــانــة   إلــى لُــعــاب عــاهــرِ
لا يُبغض الله ولا رسوله   من العبادِ كالمرابين فِئةْ

الأول:

أيّ ربًا يشترطون يا تُرى؟

الثاني:

عشرون أو ما فوق ذلك في المائة
انظر إلى السمسار يسحر الفتى   وانظر إلى الغلام كيف استحسنه
عــنــدي ألــفٌ مــا مــلــكــتُ غــيــرهــا   مَن لي بها ألفين إن فاتت سنهْ؟

الأول:

عندك ألف أنت؟

الثاني:

ألفٌ ذهبا

الأول:

تريد تعطيها بفاحش الربا؟
إذن لقد كنت تُرائي يا أخي   ولـم تـكـن تَـقـواك إلا كَـذِبـا

(جمال يرفع صوته)

جمال:

باللهِ مِن ذا الحديثِ دَعْنا   وانظر معي هذه الكُرُنْبَهْ

(ينظر إلى رجل وجيه ملفف بالثياب ومعمم ويقول)

ومن يكون الوجيه؟

رشاد:

هـــــــــــذا   مقاول يُكبرون كَسْبَهْ
وكلَّ يومٍ عليه نعلٌ   وكل يوم عليه جُبَّه
تراكم المال في يديه   من حبةٍ أمس صار قُبَّهْ

جمال:

وما فَتَنَ الحظّ بالكركدنِّ   وما أعجب المالَ من سِحنته؟

رشاد:

ومن عجبٍ بعد هذا المشيبِ   بَنَى باثنتين على زوجتِه
ورام الزواجَ ببنت النقيبِ؟   فما قَبلوه على ثروتِه

جمال:

وما تلك؟ من هي بنت النقيب؟

رشاد:

فتاةٌ هي البدرُ في ليلتِهْ

جمال:

وما بيتُها؟

رشاد:

قَـــصــــرُ آبـــائـــهـــا طويلُ العمادِ عريضُ الغرَفْ

جمال:

وما مالُها؟

رشاد:

الـــقـــصـــرُ عـــنـــوانُـــه أليس القصورُ رموزَ التَّرفْ؟

جمال:

وما سمعةُ البيتِ؟

رشاد:

مـــــاذا تــــقــــولُ؟ أما في قديم البيوتِ الشرفْ؟

جمال:

وَلِمْ أبَت الشيخَ وهو الغنيًّ؟

رشاد:

وهل كل ما في الزواج المهورْ؟

وهل يملأ التيسُ عينَ المهاةِ؟ وهل تحمل الكركدنَّ القصورْ؟

جمال:

رشاد أهيَ حلوةٌ؟

رشاد:

وذات قصرٍ، وكفَى

جمال:

مـا ضـرَّ لـو أنِّـيَ صـا هرتُ الغنى والشرفا؟
أتعرف البنتَ يا رشادُ؟

رشاد:

وأعرف الأمَّ يا جمالُ

جمال:

كيف ومن أين؟

رشاد:

لـــــي بـــــبـــــيــــــتِ النقيبِ من نشأتي اتصالُ
أُمِّــيَ كـانـت إلـيـه تـغـدو إذ أنـا طـفـلٌ، ولا تـزالُ

جمال:

ماذا تَرى رشادُ إن طلبتُها؟ تُرى تَردُّني إذا خطبتُها؟

رشاد:

أصْغِ لي، أنت مثل ما تتمنى «زينبٌ» تجمع الغنى والجمالا

جمال:

الغنى يا رشاد؟ إنك تهذِي

رشاد:

أنا أهذِي؟

جمال:

أجلْ، وتخلِطُ

رشاد:

لا، لا
أنت فوق النقيب دخلًا وَرَيْعًا بعد حين وأنت أكثرُ مالا
جَدَّةٌ تجعل الحديد على الما لِ وتَحمي الأبوابَ والأقفالا

جمال:

لكنها يا صديقي أشدُّ مني ومنكا

رشاد:

صبرًا فَعَمَّا قليلٍ سيُفرِج الله عنكا

جمال:

وجمالي؟

رشاد (ويخرج مرآة):

أفــي جـمــالــك شــكّ؟ خذْ تأملْ، انظرهُ في مرآتي
سوف تَسبِي فؤاد زَينب

جمال:

من «زيـ؟
ـــنــب»؟

رشاد:

هذا يا صاحبي اسمُ الفتاةِ

جمال:

رشاد، اسمع، عقدتُ العزمَ فاذ هبْ وأُمُّكَ فاخطبا لي اليومَ زينبْ

رشاد:

إذن أعطني ليرة من حِسابي وبعد غدٍ نلتِقي ها هنا

جمال (يناوله الليرة):

قَبِلتُ فخذْ

رشاد (بعد أن ينظر أمامه):

انــتــظــر يــا جــمــالُ   بربِّكَ فالحظُّ قد أحسنا
فـهـذا أخـو زيـنـبٍ مـقـبـلًا   فسِر حيث شئتَ، ودعني أنا

(يجلس عزيز فيتقدم إليه رشاد)

رشاد:

عزيزُ؟ مَنْ؟ أهلًا أخي   منذ شهورٍ لم أرَكْ

عزيز:

رشادُ أنت ها هنا؟   مَن ذا الذي كان مَعَكْ؟

رشاد:

انـظـر إلـى ثـيـابـهِ   ولونِها كيف اتحَد
انـظـر إلـى حـذائـه   من النظافة اتَّقَدْ
والـبـنـطـلـون مُـسْـتَـوٍ   لم ينكسِرْ، لم ينعقِدْ
أعِـرْنِـي الـسَّـمْـعَ أعِـرْ   عندي لكم شيءٌ يَسُرْ

عزيز:

ما ذاك؟ هاتِ، ما الخبرْ؟

رشاد:

هذا جمالٌ وحيدُ جَدَّهُ   بخيلةٍ يا عزيزُ، جِلْدَهْ

عزيز:

وعمرُها يا رشادُ؟

رشاد:

يـــــربـــــوُ   على الثمانين

عزيز:

تلك مُدَّهْ
والمال؟

رشاد:

مـا شـئـتَ مـن فـداديـنِ   ومـن بيوتٍ ومن دكاكيـنِ
والذهب الصَبُّ كلَّ ناحيةٍ   في البيتِ، من مُخْبَّأٍ ومدفونِ

عزيز:

والآن ماذا تبتغِي؟

رشاد:

أريدُهُ لِزينبا

عزيز:

وكيف؟ هل يقبلُها؟

رشاد:

كلَّمته فما أبَى
فامض إلى أمِّكَ يا عزيزُ بَلِّغْها النبأْ
لقد وصفتُ القصرَ لِلْـ ـأبلهِ وصفًا عَجَبَا
ولم أزلْ أطرِي له الـ ـجَدَّ وأمدحُ الأبَا
وَأنْعَتُ المجدَ القديـ ـمَ وَأحَلِّي النَّسَبَا
وقلتُ عن أُمِّكَ خَيْـ ـرًا وامتدحتُ زينبا

عزيز:

وقد نسيتَنِي أنا؟

رشاد:

لا. بل أطَلْتُ الكَذِبا

عزيز: وما الذي قلتَ عنّي؟
رشاد:

قُلت: فتى ما أفاقا
بالليل يَغْشَى الملاهِي وبالنهارِ السِّباقا
تسألني عزيزُ رأيي

عزيز:

لِـــــــــــــــــمَ لا؟ ألستَ منذُ زمنِ المهدِ أخا؟

رشاد:

أنتم عزيزُ يا أَخي في أزمةٍ ولا يَفُكُّ ضِيقَكُمْ إلا الغِنى
المالُ فيه وحدَهُ خلاصُكم لا بدَّ منه اليومَ أو لا فغدا

عزيز:

أجلْ، بغير المال لا عَيْشَ لنا وكيف؟ من أين يجيءُ؟ أفْتِنا

رشاد:

مما نخوض فيه منذ ساعةٍ مِن الفتى؛ من موتِ جَدَّةِ الفتى

عزيز:

وما الذي نصنع كي نصيدَهُ لا بـد مـن مَـصـيـدَةٍ

رشاد:

تـــــلـــــك أنـــــا
اسمعْ أخي عزيزُ أنتمُ أسرةٌ لم يبقَ من وجودِها إلا شَفا
قصرُكمو من قِدَمٍ مُهَدَّمٌ قد خاطَ فيه العنكبوتُ وبَنَى
سكنتموه ها هنا وها هنا كالبوم، كل بومتَيْنِ في فَضَا
ملأتموه خدمًا أشداقُهم دائرةٌ على الرغيفِ كالرَّحَا
انظر إلى القصور كيف أصبحتْ لم يبقَ من مقدَّمٍ ولا أغا
احتجب القوم وراء ظلها لا يُسألُ البوابُ إلاَّ قال: لا

عزيز:

كـفـى رشـادُ صِـفـةً لبؤسِنا، كفى، كفى
ولا تـعـذِّبْ مـهـجـتـي ولا تـهِـجْ لِـيَ الـبـكـا
وامضِ اجتهدْ رشاد في تزويج أختي بالفتى
إذا كـان لـهـا أهـلا

رشاد:

ولمْ لا يا أخي؟ لِمْ لا؟
فتى لم يَحْكِه الشبّا نُ هندامًا ولا شكلا
ولم يُنكرْ له الإخوا نُ لا ظَرْفًا ولا عقلا
ومن بيتٍ يرى الناس عليه الخيرَ والنُّبلا
أبـوه كـان إنـسـانًـا

عزيز:

وهذا كله فضلا
عمّا وراء جدَّتِهْ

رشاد:

وعـن عـظـيـمِ ثـروتِـهْ
يـا لـيـتـنـي فـي حـالـتـهْ
اسـمـع عـزيـزُ يـا أخـي أنـــا وأنـــت لا نَـــرِثْ
أمْلطُ يا رب كما خلقتني راضٍ على قلَّةِ ما رزقتني

عزيز:

دعنا من الهزل. هلا أخذت في الجدّ ساعة؟
رشادُ أنت صديق ماذا ترى في البضاعة؟
ادخلْ بنا في الجِدِّ يا رشاد متى تراه؟

رشاد:

في غدٍ أراه

عزيز:

لم تقل لي عن الفتى، ما أبوه؟

رشاد:

كان فَخر الرجال، كان مديرا

(ثم لنفسه)

كان والله يسكعُ الصبح والليـ ـل إلى كل حانةٍ سِكِّيرا

عزيز:

والفتى، كيف شغلُهُ؟

رشاد:

في الدواوينِ

عزيز:

إذنْ قد نراه يومًا وزيرا

رشاد:

لِمَ لا؟

(ثم لنفسه)

قلتُها ومن أين أدري؟ ربما صار حاجبًا أو خفيرا

(ثم لعزيز)

لا تسلْني ما أبوه يا أخي أو مَن الأم وسَلْ ما جدَّتُهْ
لا ولا ما شغله؟ ما جاهه؟ في الدواوين ولا ما رتبتُهْ
فجمالٌ في غدٍ أو بعدَه بوزيرين تساوي ثروتهْ

(بعد لحظة)

وَلِمْ لا وجدَّتُهُ نملةٌ إذا وقفتْ أو مشتْ حصَّلتْ
وتُدْخل في بيتها ما تُصيبْ ولا يُخرج الدهرُ ما أدخلَتْ
لو انقلبتْ من جميع الجهات على القشِّ في فمها ما انْفَلَتْ
ترى المال في بيتها في اللحافِ وتحتَ البلاطِ وحَشْوَ الشِّلَتْ

عزيز:

عجبتُ يأتي البخيل المالُ وهو يَرى أنَّ البخيلَ إليه غيرُ محتاج
وقَلَّ ما جاء حرًّا ماجدًا ومشى إلى الكريم الكثيرِ الهمِّ والحاجِ

آهِ مــا أكــثــرَ حــاجِــي مَــن بـحـاجـاتـي أُنـاجـي؟
أزمـــةٌ دُرتُ فـــلـــم ألـــــــقَ لـهـا وجـهَ انـفـراج

رشاد:

عزيزُ أنت مفلسٌ

عزيز:

ما شئتَ في ذاك فَقُلْ

رشاد:

على البلاط يا عزيــ ـــزُ كلُّنا ذاك الرجلْ

عزيز:

إذن جمالُ صفقةٌ رابحةٌ لـنـا كـلـيـنـا

رشاد:

قـد فـهـمـتَ مـأربـي
ولستُ أنسى فضلَكم عندي ولا ما طـوَّقَـتْ أمُّـكَ أمَّـي وأبـي

عزيز:

اذهبْ إذنْ رشادُ فاخطبْهُ

رشاد:

لمن؟

عزيز:

لي، ولزينبٍ، وأمّ زينبِ

رشاد:

للأمِّ والابنِ وللبنتِ؟

عزيز:

أجـــــــــــــــــــــل   وكل من مَتَّ لي من نَسَب

رشاد:

أصبتَ يا عزيزُ أنتَ فَطِنٌ

عزيز:

لا، بل هو البؤسُ يفطِّن الغَبِي

رشاد:

وَرُكوبي يا صديقي   وذَهـابـي وإيـابـي؟

عزيز:

امض أنفقْ ما تشا واصــ   ــبِرْ إلـى يومِ الـحسـابِ

أنـا لـو بـيـع بـفَـلـسٍ لم يجدْ سوقًا جِرابي
كلانا رشادُ على زورقٍ كسيرٍ وموجٍ عنيفٍ شقي
فإن ننجُ بخير المتاع وإلا غرقنا مع الزورقِ

«ثلاثة آخرون جلوس على مائدة بالقهوة»، «أحدهم يقرأ جريدة، والآخران يتحادثان».

الأول:

مَن ذلك الُمطِلُّ من لحيِته كالبغل من وراء مِخلاةٍ رنا

الثاني:

تسألُ عن ذاك الذي انحنَى على صـحـيـفـةٍ يَـقْـرا وولانـا الـقَـفـا؟

الأول:

أجل، أجل هذا القفا

الثاني:

هذا هو الدكتور

الأول:

مَن؟

الثاني:

عـبـدُ الـسـلام مُـرتـضَـى

يـقـرأ مـا صـادف مـن جـريـدةٍ   من سطرها الأول حتى المُنتَهَى

وتستوِي صُحْفُ الصباحِ عنده   وصُحُفٌ ظهرنَ من عامٍ مضى

تـذاكـرُ الـدفـنِ الـتـي يـكـتـبـهـا   في الشهر أضعافُ تذاكرِ الدَّوا

وعـــيـــبـــه الـــبـــخـــلُ

الأول:

فيه بخلٌ؟

الثاني:

أبخلُ من جارَتي نظيفه

الأول:

من يا أخي هذه؟

الثاني:

عـــــجـــــوزٌ   في «الخط» من أسرة شريفهْ

لـيـس لـهـا فـي الـحـيـاة إلا   عـبـادةُ الـمـالِ مـن وظـيـفـهْ

حتى لقد صارت حديثَ الحارهْ   وضحكَ الجارِ وسُخْرَ الجارهْ

كلُّـهـمـو يـحـسـدهـا بـمـالِـهـا   ويـتـمـنـى حـالـه كـحـالِـهـا

وهـكـذا الأنـفـس فـي ضـلالِـهـا

الأول:

ما غناها يا أخي؟

الثاني:

أكـثرُ هذا الخُطِّ مالا

الأول:

ومن الوارث إن ماتت

الثاني:

فتى يُدعَى جمالا

الأول:

وذلك الدكتورُ؟

الثاني:

هـــــــذا «مـــــــادرٌ»[٥] الجوعُ يا أخي ولا الأكلُ معَهْ
لـقـد دعـانـي لـلـغَـداء مـرَّةً فَقَسَّـم البيضة بين أربـعَـهْ
وجِـــــيءَ بـــــالـــــشـــــواءِ

[٥] أبخل العرب، ويُضرب به المثل في البخل.

الأول: قلْ ماذا جرى؟
الثاني:

أوْمَا إلى خادمه أن يرفعَهْ
رأى فيه عيبًا وإن لم نجدْ على اللحم عيبًا سوى قِلَّتِهْ
فقد كان أنضجَ لحمٍ رأيتُ وقد كان كالمِسكِ في نكهتِهْ
ومن بخلِهِ تُفتحُ القهواتُ وتُغلقُ، وهو على «شيشتِهْ»
يُقَضِّي بها طَرَفَيْ يومه ويُمضي بها طرفَيْ ليلتِهْ

الأول:

ومرضاهُ؟

الثاني:

يلقاهمو في الطريـ ـق حينًا، وحينًا على قهوتِهْ

(غلام يدخل القهوة صائحًا)

الغلام:

أين هو الدكتور؟

أحدهما:

ذاك

الغلام (للدكتور):

سيِّدي أخي سَقَطْ
تحت الترام

الدكتور:

فـــــلـــــيـــــكــــــن   أو تحت وابور الزَلَط
فمـا الـذي أصَـابـهُ؟

الغلام:

انفلَقَ الرأسُ

الدكتور:

فـــــــــــقـــــــــــطْ؟
هـيَّـا ولـو أنِّـي مـا   عالجت في الشارع قَطْ

الغلام:

الله في عونِ الجريـ   ـح منكَ جرَّاحَ القِطط

الفصل الثاني

(في منزل السيدة نظيفة) «حجرة بها دكة عليها شلتة ومخدات ثلاث — السيدة نظيفة تلبس جلابية من الشاش الأبيض، ومتعصبة بمنديل، وفي رجلها القبقاب»

نظيفة (تتكلم وحدها في الحجرة):

منزلي حولي نظيفٌ	وأنا الست نظيفهْ
وبلاطي ذاك أنقى	بكثير من صحيفهْ
كل ما كلَّفني ما	ءٌ وصابونٌ وليفهْ
لا بساطٌ لا كليمٌ	لا حريرٌ لا قطيفهْ
غير هذي الخشبات الـ	ـخيزُراناتِ الخفيفهْ
ليس بيتي كبيوت الـ	ـناس أحمالًا كثيفهْ
أنا بيتي في الهواء الطَّـ	ـلْقِ والشمس اللطيفهْ
ودكتي تلك أغلى	لديَّ من ألف صفَّهْ
كم مال زوجي عليها	وكان يقطر خفَّهْ
جلستُ فيها عروسًا	واليوم إذ أنا قُفَّهْ

(بعد أن ترى «حُسنَى» الخادمة داخلة عليها وبيدها شيء)

تعالَيْ يا ابنتي جيئي بماذا جئتني «حُسنَى؟»

حُسنَى:

لقد جئتُ بفنجانٍ

نظيفة:

خُذيهِ جرِّبي البُنَّا
وهذا شُبُكي[١] هاتي

حُسنَى:

أجل بالعود[٢] قد جيِتُ
وفي الكيس مع الدخا نِ زَنْدانِ[٣] وكبريتُ

نظيفة:

سلمتْ حُسنَى يداك

حُسنَى:

أنـــا مـــولاتـــي فِـــداكِ
والآن هل آخذ خَرْجَ[٤] النهار

[١] أداة التدخين.

[٢] عود البخور.

[٣] مثنى «زَنْد»، وهو ما تقدح به النار.

[٤] ما تخرجه «نظيفة» عادة من مواد لإعداد الطعام.

نظيفة:

امضِي خذيه إنه في «الكرار»

حُسنَى:

هيَّأتِه سيدتي؟

نظيفة:

أجل

حُسنَى:

وما أخرجتِ لِي؟

نظيفة:

رأسٌ من الثومِ وخمــ ــسٌ من صغارِ البصلِ

حُسنَى:

والسمن مولاتي تُرى؟

نظيفة:

كأمسِ، لَمْ أُقَلِّلِ
أوقـــــيـــــةٌ

حُسنَى:

والأرز؟

نظيفة:

لا   لا يدخلنَّ منزلي
لقد غلا سعرًا ولا   يُعجبني السعرُ الغَلِي

حُسنَى:

ليتك بالزيت افتكر   تِ والدقيقِ والعسلْ

نظيفة:

ولِمَ يا حسنى أرا   كِ اليومَ عادَك الخَبَلْ؟
نسيتِ أنَّ ها هنا   وتحت هذي الكَنبهْ
العشراتِ من قديـ   ـمِ الكعك والغُرَيِّبَهْ؟

حُسنَى:

لمْ أنْسَ يا سيدتي

نظيفة:

أنت إذنْ مخرِّبَهْ؟

حُسنَى:

قد اشتهيتُ لقمةَ القاضي

نظيفة:

اشــتــهــتــكِ عــقــربَــهْ
ومـا الـذي اشـتـريـت يـا «حُسنَى» لنا من الخضَرْ؟

حُسنَى:

«الباميا» كأنها الزُّ مرُّدُ الخامُ الحجَرْ

نظيفة:

«البـاميـا»؟ مـنـذ مـتـى هذا الخضارُ قد ظهرْ؟

حُسنَى:

جديدة. قلت: عسى سـيـدتـي بـهـا تُـسَـرْ
نادَى المنادونَ عليـ ـها منذ أسبوعٍ عَبَرْ
ترفلُ في شوكتِها وفي شبابها النَّضِرْ

نظيفة:

أجـل لـقـد أكـلـتُـهـا في منزل الشيخ «عمرْ»
كـالـذهـب الإبـريـزِ والـ ـثـومُ عـلـيـهـا كـالـدررْ

حُسنَى:

واليومَ تأكلينها

نظيفة:

أمرَّ من طعم الصَّبْر
اشـتُـرِيَـتْ غـالـيـةً مثلَ البواكيرِ الأُخَرْ

حُسنَى:

هدية تلك

نظيفة:

ومِمَّنْ؟

حُسنَى:

مِن قريبٍ لي حضَرْ

نظيفة:

من أين جاء؟ ومتى؟

حُسنَى:

من الصعيد قد بَكَرْ

نظيفة:

وبِمْ تُرى جَزَيْتِهِ؟ بقبلةٍ مستعجلةْ؟
امضي فتاتي واطبخي «دقـيّـة» مـكـمِّـلَـهْ
كـأنــهـا خـلـيَّـةٌ من عـسـلٍ مـحـمَّـلَـهْ
والـثـوم فـيـهـا لـؤلـؤٌ وهــي بـه مـكـلَّـلَـهْ

والــــعـــــظـــــم ...

حسنى:

واللحم ...

نظيفة:

احـــــــــذَري يُتعبني أن آكُلَهْ

حسنى:

الــلـحـم يـا سـيـدتـي في «الباميا» ما أسهلَهْ

نظيفة:

«حُسنَى» انظري

حُسنَى:

سيدتي

نظيفة:

على البلاط وَسَخ

حُسنَى:

الآن أغـسـلِ الـبـلا طَ ثم أمضِي أطبخُ

(تنسل السيدة إلى حجرتها ... يدخل جمال)

جمال:

حُسنَى

حُسنَى:

جمالُ سيدي؟

جمال:

أنتِ هنا؟

حُسنَى:

أنتَ هنا؟

جمال:

ما تصنعين؟

حُسنَى:

صـنـعـتـي الــ ـيومَ وصنعتي غدا
على البلاط أنحني أغسله كما ترى

جمال:

يا رب لِمْ خلقتَ للـ ـعذابِ هذه اليَدا؟

حُسنَى:

لا..لا عذاب سيدي   إني أحب العملا

جمال:

وأين جدتي فإ   نِّي لا أراها ها هنا

حُسنَى:

أظنها مضتْ تصلِّـ   ـي فِي الخِزانةِ الضحى

جمال:

لله أو للمال يا   حُسنَى تُرى؟

حُسنَى:

كـمـا تـشـا
ما لي وما تعملُهُ؟   لكلِّ عبد ما نَوَى

جمال (لنفسه وقد رأى كيسًا على الدكة):

ما ذاك تحتيَ ... كيسٌ؟   بُشرايَ، هذا جرابُ
أعامرٌ ليت شعري   جرابُها أم خرابُ؟
كيسٌ؟ أجلٌ كيسٌ وحُسـ   ـنَي لا ترى ... لا تسمعُ

(ثم يقبله)

كيس وفيه ذهبٌ   آخُذُهُ أم أدَعُ؟

(يتركه مترددًا)

لا ... لا ... ألصٌّ أنا؟ لا   ليت يدي تَنقطِعُ

(يتناوله)

لننظرْ ما حوى الكيسُ

(يفتحه ويعد ما فيه)

جنيهان ... ريالانِ
وهذا فصٌّ ياقوتٍ   وذي سُبحةُ مَرجانِ

(يخرج ما في جيبه)

لننظرُ ما حوى جيبي   أقرشان ونصفانِ؟
حرامٌ شدة البخل   حرامٌ طولُ حرماني

(يرد نقوده، وينظر إلى الكيس)

فإن مددتُ نحو كيسها اليدا   سرقتُ نفسي ما سرقتُ أحدا
ولا أرى سارقَ نفسه اعتدَى
لا يا جمالٌ ... ما رأى   رأيَكَ في الناس أحدْ
من قال مالُ الوالديـ   ـنِ مُستباحٌ للولدْ؟

حُسنَى (وقد نظرت إليه خلسة فرأته، وهو يسرق):

يا أسفا على جمالٍ ما صنعْ؟ جاء إلى الكيس مرارًا ورجَعْ
حام عليه برهةً ثم وقعْ

(لنفسها)

ويحَ جمالٍ جَرؤتْ على الحرام راحتُهْ
ما كان لصًّا إنما جَنَت عليه جدَّتُهْ

جمال (يدس الكيس في جيبه):

ولِمَ لا؟ والمال مالي بعدَها وإنَ تصرفت بمالي وحدَها
وديعتي حتى تموتَ عندَها

(يخرج مسرعًا)

حُسنَى:

يا ألفَ ويلي على جمالٍ انسلَّ كاللصِّ في الظلامِ
الفقر والبخل صيَّراه من ابن بيتٍ إلى «حرامي»
هو لصٌّ وسارقٌ غيرَ أني أُحبُّهُ
حرمتُه القليلَ من حقِّهِ ... أين ذنُبهُ؟
إني بعيني هذه رأيتُه مرددا
لما أحسَّ المال جُـ ـنَّ وأضاع الرَّشدا
على الضمير والعفا فِ والحجا تعوَّدا
لو ملأتْ جدَّتهْ يديه ما مَدَّ اليدا

(ثم تسمع ضجة فتقول)

قد رن في الحجرة قبقابها صلَّتْ وعادت من مُصلاها
وما درتْ وهي تصلِّي الضحى أنَّ جمالًا من ضحاياها

(تدخل السيدة نظيفة بدون أن ترى «حُسنَى») (فتقول حُسنَى لنفسها)

تسرع نحو كيسها لم تَرَني ... فلننتظرْ
ماذا تُرى تفعل؟ هل تبكي دمًا أم تنتحرْ؟

نظيفة (لنفسها):

كِيسي كان ها هنا من ساعةٍ ... شيءٌ عجبْ!
من يا تُرى طَيَّرَهُ؟ كيف اختفى؟ أين ذهبْ؟
فيه ريالان وفيـ ـهِ قطعتان من ذهبْ
وضعتُه هنا وغبـ ـتُ عنه ... ليت لم أغبْ
كِيسِي حبيبي أين أنـ ـتَ؟ كيف ألقاك؟ أجِبْ!
كِيسيَ ... يا رب أعدْ لي كيسِي وخذه لي يا رب من إبليسِ
وكلِّ لص فاجر خسيسِ
إن عدتَ لي فشمعةٌ للحنفي أو شمعتانْ
قرش يعود لي به من القروش مائتانْ
وشمعةٌ للسيدهْ توضعُ في مسجدِها
تبيت فيه مُوقدَهْ بالقرب من مَرقدِها
لا، أنا في فقرٍ إلى شمعةٍ سيدتي «زينبُ» بِي عالمهْ
ولم يَرَ الناس ولم يسمعوا سيدةً تأخذ من خادمهْ

(ثم بعد أن ترى «حُسنَى»)

نظيفة:

حُسنَى

حُسنَى:

مُرِي

نظيفة:

أنتِ هنا؟

حُسنَى:

أجلْ

نظيفة:

تعالَي اسمعِي
خلِّـي البـلاطَ

حُسنَى:

ما جرَى؟

نظيفة:

دعِيه سَاعةً دعِي

حُسنَى:

ماذا جرى سيدتي؟

نظيفة:

ما لم أكُنْ أنتظِرُ
مصيبةٌ فاجعةٌ

حُسنَى:

ماذا دهَى؟ ما الخبَرُ؟

نظيفة:

كيسِي كان ها هنا طـيَّره الـمُـطَـيِّـرُ

حُسنَى:

ما كان فيه؟

نظيفة:

ذهبٌ وسُبحةٌ وجوهرُ

حُسنَى:

وهل ظننتِ السوءَ بي سيدتي؟

نظيفة:

أستغفر الله ابنتي أستغفرُ

«حُسنَى» ابنتي خادمتي تسرقني؟ ذلك ما ليس ببالي يخطرُ
في ذمةِ الله كيسِي عوّضني الله عنهُ
واللصُّ لا بد يومًا يقتصُّ لي الله منهُ

حُسنَى:

سيدتي مسرفةٌ سيدتي مضيّعَهْ
إن الجرابَ لم يكنْ هذا المكانُ موضعَهْ

نظيفة:

اذهبي يا ابنتي عرفتُ غريمي أنت لا تجهلينه فهو منّا

حُسنَى:

مَن تُرى؟ مَن؟

نظيفة:

سلي ضميرَك عنه أنتِ منه مُلئتِ قلبًا وذهنًا

حُسنَى:

مَن؟

نظيفة:

جمالٌ

حُسنَى:

ماذا تقولين يا مولاتي؟

نظيفة:

الصدق

حُسنَى:

مَن؟ جمالٌ؟ هذا محالٌ فَظُنِّي ـــــ بل تـظـنِّـينَ ظـنًّـا
بِـــي أنـــا الـــســـوءَ

نظيفة:

أنتِ؟ حاشاكِ «حُسنَى»

حُسنَى:

إذن مَن؟ قِطةٌ في البيـ ـــتِ لمَّا لَمْ تجدْ لحمَا
مضت بالكيس ظَنَّتْهُ هو الجلدَ أو العظما؟

نظيفة (مستضحكة):

امـضــي اذهـبـي يـا خَـبـاثْ يـا نـكـبـةٌ فـي الإنـاثْ
أوشكتْ تدخلُ الضحى ... البَسي الفو طَة «حُسنَى» طِيري إلى الكانونِ
واحذري الطَّبخ أن يشيطَ وسُدِّي الـ ـبابَ دون الأنوفِ ... دون العيونِ

حُسنَى:

سيدتي ها أنا ذِي ذاهـبـةٌ لـشـانِـيـا
انتظرِيني ساعةً ثم انظُرِي طعاميا

(تخرج)

نظيفة (لنفسها):

قــد ذهــبــتْ لــشــأنــهــا الــيــوم يــومُ «الــبــامــيــا»
«حُسنَى» اذهبي إني لفي شكٍّ وإن أظـهـرتُ أنّـي بـكِ جِـدُّ واثـقـهْ
قد سُرِقَ الكيسُ وما من أحدٍ سواكِ في البيت فأنتِ السارقَهْ
ولــكــنــي أداريــكِ فَــأَخْــفِــى خــبــرَ الــبــئــر
وكــم ســيــدةٍ قــيَّــدَهــا الــخــادمُ بــالــسـرِّ

(جمال يدخل)

مَن؟

جمال:

جدتي.. هذا أنا

نظيفة:

مَن؟ وَلَدِي جمالُ؟

جمال:

ما صنعَ الزكامُ يا　جـــــــــــدة؟

نظيفة:

لا　يـــــــــزالُ
وأنت ما تصنع يا　جمالُ؟ كيف الحالُ؟

جمال:

الحال يا جدَّهْ　زفتٌ وقطرانْ

نظيفة:

كيف؟ انفُضِ الجيب　فـيـه جـنـيـهـانْ

جمال:

أنا؟ جنيهانِ؟ ومن أين له؟　جيبي حتى من ريالين خَلا
جـــــــــــــــــدةُ

نظيفة:

روحـي.. تـكـلَّـمْ　ماذا؟ فداكَ البَنونا

جمال:

أقول لكن عدِيني　جدةُ لا تغضبينا

نظيفة:

إلا النقود فإنني   حلفتُ أمسِ يَمينا

جمال:

إذن امضي كما جئتُ   إذن لا شيءَ يا جدهْ
على أنَّي لم أظفرْ   بشيءٍ منكِ من مدَّهْ

نظيفة:

والثلاثون ريالا؟

جمال:

قد مضى شهرٌ عليها
تلك شمَّتْها يدُ النـ   ـشالِ فانسلَّتْ إليها

نظيفة:

لا حَرَمَ الله اللصوصَ خيرَكا   ما بالهم لا يسرقون غيرَكا
لم تَلْقَنِي وتنصرفْ بمالي   إلا وعادتْ قصةُ النَّشالِ
كأن مالي ليس بالحلالِ

جمال:

لم أقلْ مالُكِ يا جـ   ـدَّةُ سُحْتٌ أو حرامْ
فلقد يُسرق مالُ اللـ   ـه والبيتُ الحرامْ

نظيفة:

العينُ يا جمالُ

جمال:

لا تـــــقـــــولـــــي فما إلى مالِك من سبيلِ
لعين حاسدٍ ولا فُضولي
مالُكِ في اللحافِ والمنديلِ
مالُكِ في القفَّةِ والزنبيلِ
وتحت ماءِ البئرِ في برميلِ

نظيفة:

في البئر؟ إنَّ ذا عجب ماذا تصوغ من كذِبْ؟

(في اضطراب)

جمال لا تَنْسَ الأدَبْ
في البئرِ يا ابِني؟ هذه ما خطرتْ ببالي
لِمْ لا تقول المالُ قد خبَّأتُ في سِروالي؟
لكن هَبوني قد فعلــ ــتُ ما لَكم ومالي؟
ألستُ يا ابنِي حرَّةْ بصيرةً بمالي؟
أصنعُ ما شئتُ به أصنع ما بدا لي

جمال:

هَوِّني جدتي عليك فإني لم أنازعكِ هذه الحريَّهْ
خبِّئي المالَ حيث شئتِ من المنــ ــزلِ في السقفِ أو وراء حَنِيَّهْ

ادفنـيـه فـي مـطـبـخ أو كـرارٍ   أو لـحـافٍ أو شـلـتـةٍ أو حَـشِـيَّـهْ
أو فَـوارِيـهِ فـي قَـرارةِ بـئـرٍ   ذاتِ عمقٍ عن الظنونِ خفيَّهْ
جــدتـــي هـــذا كـــثـــيـــرٌ   مـــا الـــثـــلاثـــون ريـــالا؟
هـــي يـــا جـــدة لـــيـــســت   عـــنـــد أمـــثـــالـــي مـــالا
لا يـــمـــيـــنًـــا مـــلأتْ يـــو   مًـــا ولا أغـــنـــتْ شِـــمـــالا

نظيفة:

عند أمثالك؟

جمال:

إي واللهِ

نظيفة:

مـــا أنـــتـــم رجـــالا
هي تَبنِي ثروةَ المر   ءِ إذا كانت حلالا
اســـمـــع جـــمـــالُ

جمال:

سامعٌ يا جدتي

نظيفة:

جَدُّكَ يا بُنَيَّ كان مُفلِسا

جمال:

مثِلِيَ يا جدةُ؟

نظيفة:

لا يـــــا ولـــــدي بل كان أشقى حالةً وأتعَسا
أَسَّسَ من شروي نقيرٍ ثروةً

جمال:

لم تذكُري جدةُ كيف أَسَّسَا
ألم يكنْ سكناهُ رَبْعًا دارِسا؟ ألم يكن طعامه المدمَّسَا؟
ألم يكنْ على البلاطِ نومُهُ؟ ألم يُحَرِّمْ نَفسَه أن تَلبسا

نظيفة:

ومَن نبَّأَكَ؟ أو مَن ذا رأى جدَّكَ عُريانا؟

جمال:

هَـبـيـهـم لـم يُـنَـبُّـونِـي كـفـانـي بـك عـنـوانـا
جدتي ما رأيت قطُّ على جسـ ـمِكِ مُذْ كُنْتُ غير هذي الثياب
بـدِّلـي ثـوبـك الـقـديـم أهـذا كفنٌ يُرتدَي ليومِ الحسابِ؟
وعلى الرأس ذلك الشاش و(الأو يَـةُ) مَـلا تَـطَـاوُلَ الأحـقـابِ
قد عفا رقعتيهما النشر والطـ ـيُّ وطولُ المدَى وطولُ الخِضابِ
لَـم يَـر الـنـاظـرونَ رجليكِ إلا كصبيِّ الحمَّامِ في القبقاب

نظيفة:

قد توقّحْتَ يا جمالُ

جمال:

دعـــــــيـــــــنـــــــي اتركيني (أفشُّ) جدةُ ما بي
والدي مات في الشباب من الحِرمانِ واليومَ تقتلين شبابي

نظيفة:

لا تذكّرْنِيَ العزيز جمالُ وَدَعِ الجرحَ، لا تحرِّكْ مُصابي

جمال:

اقتليني كوالدي

نظيفة:

بَـــــعُـــــدَ الـــــشـــــرُّ بل اسلمْ وحُطَّني في التراب
إن يا ابني الجراب والمالُ فيه لكَ

جمال:

مَن لي ببعض ما في الجراب؟
ما انتفاعي به؟ كُلِيه ... اشربيه بعد ما آذن الصِّبَا بذهابِ

(تغرورق عيناه بالدمع)

اصفحي جدةُ عما كان مني واغْفِرِي لي

وَائْذَنِي أيتها الجــ ـدَّةُ أمضِي لسبيلي

نظيفة:

لقد نسيتُ يا جما لُ وطويتُ ما جَرى
والآن أدعـــــوكَ

جمال:

لماذا؟

نظيفة:

للـغَـداء، مـا تَـرى؟
ابقَ جمالُ نقتسِمْ لونًا جديدًا غاليًا
ابقَ بنيَّ كُلْ معي اليومَ عندي «باميا»

جمال:

«الباميا» جديدةٌ؟ من قال يا جدَّتِيا؟

نظيفة:

أَكَلْتَها؟

جمال:

أجـل مـرارًا عند أصدقائيا

نظيفة:

في «الباميا» خَلِّ الطها ةَ وخُـذ الـطَّـواهِـيـا
وطبخُ «حُسنَى» يحفظَ الشَّـ ـبـابَ والـعَـوافـيـا
اجـلـسْ جـمـالُ سـاعـةً ونـاجـنـي بـحـاجـتِـكْ

جمال:

ماذا أقول جدتي؟

نظيفة:

قلْ ما تَشَا لجدَّتِكْ

جمال:

أنا يا جدتي كبرتُ ولا أطلب إلا الزواج

نظيفة:

عندي صبيَّةٌ لكَ

جمال:

الخادمُ؟ لا، كم قلتُ لا

نظيفة:

لا تَدْعُ «حُسنَى» خادمًا

جمال:

ابنةُ من؟

نظيفة:

بنتي أنا

جمال:

لـقـيـطـةٌ ربَّـيْـتِـهـا   أنت، أليس هكذا؟

نظيفة:

تذاكَرنا الزواج تعالَ ننظرْ   زواجَكَ كم يكلِّف يا جمالُ

جمال:

قليلًا جدتي

نظيفة:

كم؟

جمال:

نصف ألفٍ

نظيفة:

أعندك ما لنصف الألفِ بالُ؟

(لنفسها)

مآتم مصرَ لا يُبقي عليها   ولا يُبقي على الأفراح مالُ

(ثم إلى جمال)

اشرحْ جمالُ ما يكونُ المهرُ

جمال:

عُدِّيه مِيَهْ

نظيفة:

من الجنيهات؟

جمال:

أجـــــــــــــــل   ليست ريالات هِيَهْ
و«شبكة» تصلح أن   تُهدَى وأنتِ المُهْدِيَهْ

نظيفة:

وكم تُساوي؟

جمال:

مئةً؟

نظيفة: أُخرِجُها من مالِيَهْ؟
جمال:

ومئةً كِراءَ بيـ ـتٍ للعروس ولِيَهْ
نملؤه أمتعةً وحلية وآنيَهْ
ومئةً لفَرَحِي ومئَة لجيبيَهْ

نظيفة:

واحيرتي! واضيعتي! «جمالُ» وا خرَابيَهْ
إنْ أنا زوجتكَ يا ابـ ـنِي بعتُ ما ورائيهْ

جمال:

إذن فاعلمي جدتي أنني خـــطـــبـــتُ

نظيفة:

وما لِي ومَن تخطبُ؟
أحـقًّـا خـطـبـتَ؟

جمال:

أجل جدتي

نظيفة:

ومن تلك؟ ما بيتها؟ ما الأبُ؟

جمال:

فتاةٌ من «الخُط» بنت النقيبِ

نظيفة:

بلا والدٍ واسمها «زينبُ»
هنيئًا لك البيتُ بيتُ العفافِ

جمال:

وبيتُ الِغنى، والغنى يُطلبُ

نظيفة:

أأنتَ تعرِّفُني من تكون وما مالُها؟ إنها تكذِبُ
لأنت أسعدُ منها وأنت أكثر مالا

جمال:

أنا؟ انظري ذاك جيبي هل تُبصرين ريالا؟

نظيفة:

بل تلك «حُسنَى» فتاتي أتمُّ منها جمالا
وربما صارت على فقرها أكثرَ منها في غدٍ مالا
وكيف وجدتَ المالَ يا ابني؟

جمال:

اقترضتُهُ

نظيفة:

وممن وكم يا ابني وكيف رِباه؟
ومـن أيـن تَـقـضِـي الـديـنَ؟

جمال:

يـــقـــضِـــيـــه قـــادرٌ على الشيء لا يَقْضِي الديونَ سواهُ

نظيفة:

ازعق «جمالُ» نادِ «حُسنَى» ادْعُها

(ثم تنادي)

يا بنتُ

جمال:

حُسنَى

نظيفة:

بنتُ

حُسنَى (تدخل):

مولاتي

نظيفة:

عندي «جمالُ» يتغدَّى معي   هاتي حديثَ «الباميا» هاتي

حُسنَى:

سوف ترى يا سيدي صَنعتي   وسوف تنسى «كفتة الحاتي»

نظيفة:

حُسنَى بذلتِ كثيرًا   وما رَفقتِ بمالي
أكـفـتـةٌ بـيـمـيـنٍ   وبـامِـيـا بـشِـمـال

حُسنَى:

سيدتي لا تغضبي لا لَحم في الـ   ـمـطـبـخِ لا كـفـتـةَ لا كـبـابـا
الـعـظـمُ لا غـيـرَ مـلأتُ «الـبـامِـيـا»   مـنـه ... فـطـابـت نـكـهـةً وطـابـا

نظيفة:

يَسلمُ فُوكِ يا ابنتي

(ثم لجمال)

اســـــمـــــع لـــــهـــــا   «جمالُ» كيف تُحسنُ الجوابا

جمال:

جدتي هل فَكَرْتِ في أمرِ «حُسنَى»؟

نظيفة:

كيف؟ ماذا؟

جمال:

كما افتكرتِ بأمري
زوجـــيـــهـــا

نظيفة:

أزوِّجُ البنتَ؟

حُسنَى:

لا، لا سيدي، ذاك لم يَمُرَّ بفكري
أنتَ يا سيدي «جمالُ» كثير الـ ـمَزْحِ فاجعلْ مَحَلَّ مزحكَ غيري
أنا لا أقبل الزواج بإنسا نٍ ولو ساق مالَ قارونَ مهري
أنا ما عشت لا أفارق هذا الـ ـبيتَ إلا إلى قَرارةِ قبري

نظيفة:

عشتِ «حُسنَى»

(ثم لجمال)

سَـمـعـت كـيـف أجـابـت؟ كيف لم تنسَ حناني وبِرِّي؟

(وتهم السيدة نظيفة بالوقوف)

جمال:

أين يا جدة تمضينَ

نظيفة:

قريبًا ... خُطوتَيْنْ

أنا قد خبَّأْتُ أمسِ لك يا ابني مَوزتَيْنْ

(تمشي وتخرج)

جمال (لحُسنَى):

بَعُدَتْ جدتي تعالَيْ أقبِّلْـ ـكِ تعالَيْ حبيبتي قبِّليني

حُسنَى:

بعُدَتْ فليكنْ عفافي وديني حول عِرضي لا يُبعِدُ الله ديني
إن أكن خادمًا فنفسيَ في خِد رٍ من النبلِ والعفافِ مَصونِ
ابغِ يا سيدي سواي لما تد عو له اليوم من خسيسٍ ودُونِ

جمال:

هيّا حُسنَى لا يذهب الوقتُ

حُسنَى:

دعـــــــــــنِــــــــــــي وقتُ مثلي بجانب الكانونِ

جمال:

قبلةٌ ها هنا على الجيدِ «حُسنَى» أو على الوجنتين أو في الجببن

حُسنَى:

ما الذي قلتَ يا جمالُ؟

جمال:

طلَبتُ الحقَّ

حُسنَى:

حـقّ الـمـهـوِّسِ الـمـجـنـون
لكَ يا سيدي جمالُ شئونٌ فامضِ فيها وخلِّني وشئوني

جمال:

إلى أين؟ قفي «حُسنَى»

حُسنَى:

إلـى الـكـانـون والـنـار
إلى الشغل الذي يَنهى عـن الـريـبـةِ والـعـار

(وتمشي ... السيدة نظيفة تدخل)

نظيفة:

جمالُ يا ابني

جمال:

جدتي

نظيفة (لحُسنَى)**:**

مالكِ تَرجعينا
الموزتان يا جما   لُ صارتا عجينا

جمال:

ألقيهما يا جدتي ألـ   ـقِي العَفَنَ النَّتينا

نظيفة:

اشربْهما يا ابني عسى   أن يُورثاك لينا

جمال:

أنا يا جدة لا أقـ   ـوى على هذا العلاجْ
إن في البيت دجاجًا   فاطرحيهِ للدجاجْ

الفصل الثالث

المنظر الأول

«الست نظيفة على فراش في قاعة من منزلها، وحولها «حُسنَى» وجماعة جئن للسؤال عنها من الجارات».

زائرة (وهي داخلة)**:** العوافِي أمَّ الأفندي العوافي
حُسنَى: اخفِضي الصوتَ.. أمسِكي يا خالهْ
الزائرة: ما لها؟ ما بها؟ عفا الله عنها
حُسنَى: هي من ليلتين في شرٍّ حالهْ
زائرة:

أمُّ الأفـنـدي عـوفَـيـتْ   من قـلـبـهـا تـحـبـنـي
مـا كـان أنـدَى يـدهـا   عـلـى الـفـقـيـر والـغـنـي
شـفـاهـا الـلـه لـلـبـيـتِ   ولـلـجـارِ ولـلـجـارهْ
جرى إحسانها كالسيـ   ـلِ حتى أغرق الحارهْ
قد وقعتْ عيني عليها   مـرَّة فـي «الـسـيـدهْ»

أخرى: فما رأيتِ؟

الأولى:

نـــــــخـــــــوةً وكـــرمًـــا مـــا أزيـــدَهْ
جاءت وراحت تُقْرِضُ اللــ ــه وتُـعـطـي مـسـجـدَهْ
وكـلـمـا مَـدَّ فـقـيــ ـــــرٌ يـــــدَهُ

الثانية:

عـــضـــت يـــده
يا أختُ أين المدحُ العَطِرْ؟ وأين جُودها الذي كان المطرْ؟

الأولى (لحُسنَى)**:** انظري خلْفكِ «حُسنَى»
حُسنَى: مَن؟
الأولى: هي الشيخة «بنبهْ»

(الشيخة بنبه تتقدم)

بنبه: كيف حال الهانم اليوم؟
حُسنَى: انظِري، الحالةُ صعبةْ
إحدى الزائرات:

«حُسنَى» اطرَحِي الغمَّ ولا تـسـتـسـلـمـي إلـى الـكَدَرْ
رأيـــت رؤيـــا أمـــسِ

أخرى: ما ذلك
حُسنَى: خيرًا، ما الخَبَرْ؟
الزائرة:

رأيتني فوق طريــ ـق فيه طينٌ ومطرْ
مشتْ به أم جما لٍ تَنْثَني وَتَفتْكِرْ

تـحملُ حِملَ جملٍ   أو جملين من حَجَرْ

حُسنَى: ثُم
صاحبة الرؤيا:

إذا فــوقَ الــطــريـــ   ــقِ ثَمّ شيخٌ قد ظَهَرْ
كــأن نــورَ وجــهــهِ   تحت العمامة القمرْ
قد طرحَ الأحمالَ عنــ   ــها فَجَرتْ على الأثرْ
حـتـى لـبـثـتُ ساعـةً   عجبتُ كيف لم تَطِرْ
سمعتِ يا شيخةُ رؤيايَ؟

الشيخة:

سـمـعـتُ الـعَـجـبـا
رؤيا كأنها الفَلَقْ   تبارك الذي خلقْ
أم جمالٍ أُعِينَتْ   وزال عنها العناءُ
وذلك الشيخ قطبٌ   على يديه الشفاءُ

أخرى:

أم جـمـالٍ بـخـيـرٍ   قد أُلْقِيَ الحِمل عنها

(يظهر الدكتور مقبلًا)

إحدى الزائرات: ماذا؟ من الداخل؟ من يا تُرى؟
أخرى: هذا هو الدكتورُ عبدُ السلامْ
الأولى: أبعدَ هذا ... القطبُ يؤتَى به؟

الثانية: وأيُّ قطبٍ؟
الأولى: هلْ نسيتِ المنامْ؟
أخرى: ماذا تقول؟ تظنُّ هذا القطبَ
الأولى:

ذاك هـو الـعَـمَـى
هذا الطبيبُ مُطربَشٌ   والقطبُ كان مُعمَّمَا
شتَّانَ بين القمرِ الـ   ـمـنـوِّرِ الـمـلـمِّـحِ
وبين تيسِ الجبلِ الـ   ـمفـلـفَلِ المملَّحِ
ما تلك فوق عينه؟

الثانية:

زجــاجــةٌ مُــدَوَّرَهْ
تَقِيهِ ضوءَ الشمسِ أو   تـمـنـعُ عـنـه الـغَـبَـرَهْ
كـأنــهـا غـمـامــةٌ   تحجب عَيْني بقرة

الأولى:

ولِـمَ تَـغَـطَّـي بـالـثيـا   بِ السودِ رأسًا لقدم؟
كـأنـمـا أُخـرجَ مـن   زكـيـبـةٍ مـن الـفَـحَـمْ

الثانية:

سود الثياب بمصرٍ   صارت ثيابَ الإمارهْ
فـلا تَـرَيْـنَ بـيـاضًـا   إلا على شيخ حارهْ

الأولى: وما بِفِيهِ؟
الثانية: اسألِي حُسنَى
حُسنَى: بِفِيهِ «تُوسكنَهْ»
الأولى:

مسكينٌ الدكتورُ قد   أصبح فُوهُ مدخنَه

الدكتور: العوافِي أمّ الأفندي العوافِي
حُسنَى: هي فِي غَشْية ونومٍ عميقِ
الدكتور: كيف حُسنَى؟ ما حال أَمِّ جمالٍ؟
حُسنَى: هي فِي الكَربِ خفَّفَ الله عنها
الدكتور: ودوائي؟
حُسنَى:

لـمـا تـعـاطَـتْـهُ نـامـت
نومةً لم تقُمْ إلى اليوم منها   ما بها يا سيدي؟ ما داؤها؟

الدكتور: تُخمةٌ من أكْلَةٍ ذاتِ دَسَمْ
حُسنَى:

تخمةٌ؟ لا سيدي الدكتور ... لا   نحن لا نعرف في البيت التُّخَمْ

الدكتور: إذن بها ضعفٌ
حُسنَى: ومن أين جاء الضعفُ؟
الدكتور: من قلَّةِ ما تَطْعَمُ
حُسنَى: وما يقوِّي الضعفَ؟
الدكتور: الأكل يا حُسنَى

حسنى: وكيف الأكلُ؟ أين الفمُ؟
الدكتور:

رحم الله زوجها إنه كان صاحبي
كان في كل منزل وطريق بجانبي

(ثم ينتقل الدكتور فجأة لمخاطبة إحدى الزائرات)

«خضرةٌ» أنت هنا؟ ما تصنعين يا ابنتي؟

خضرة:

في كل ساعةٍ أجِي أسألُ عن سيدتي

الدكتور:

و«حسنٌ» زوجُك ما يـــــصـــــنَــــعُ؟

خضرة:

في البيت انطَرحْ
منذ تناول العلا جَ بالأواني ما سَرَحْ

الدكتور: وما له لم يَجِئني؟
خضرة: بأيِّ رجلٍ يَجيكا؟
الدكتور (إلى مرجانة)**:** ما ذاك يا بيضاء ماذا أرى؟
مرجانة: تورَّمَ الخدُّ من الدُّمَّلِ

الدكتور (يخرج مشرطًا من جيبه)**:**

هاتي أريه ... اصبري ساعةً أفــــــتــــــحُــــــهُ

مرجانة: لا، يفتحُ الله لي
أخرى: دَعِيهِ يفعلْ تستريحي
أخرى: اقعُدِي حَذارِ «مرجانة» أن تفعِلي

(يدخل جمال)

الدكتور: من ذاك؟ أنت جمالٌ؟
جمال:

من؟ سيدي الدكتورُ؟
كيف وجدتَ جدتي؟

الدكتور: تسير نحو العافَيةْ
جمال: وكيف هي من ثلاثٍ لم تُفِقْ؟
حُسنَى:

بل إنها من أربع كما ترَى
وارحتماهُ لك يا سيدتي ولطف الله بنا فيما جرَى

جمال:

حُسنَى أقلِّي الحزنَ ... يعفو الله عن أزْيدَ مِن هذا ويَشفِي أكثرا

الدكتور:

دعَا.. لا تخافا ولا تَحزَنا فما الأمر لليأسِ بالصائِر

وكم فاقدِ الرشدِ لا غائبٍ   ورائي تركتُ ... ولا حاضرِ
وآخر لا راقدٍ في الفراشِ   إذا قلَّبوه ... ولا ساهِر

حُسنَى:

أمرضاك كلُّهمو هكذا؟   وهل يستفيقون يا سيدي؟

الدكتور:

تقوم عليهم يدي بالشفاء   قيامَ المسيحِ على المقعدِ

حُسنَى (لجمال):

وأنت سيدي جمالُ قَوِّني   علّمْنِي العزاءَ والتصبُّرا

زائرة: «مرجانةُ» انظريهما
الأخرى: يحبها
الأولى: تحبُّهُ
الثانية:

وبيديه قلبُها   وفي يديها قلُبهُ

«يخرج جمال، وتخرج مرجانة وبعض الزائرات، وتدخل إحدى الجارات تدعى زهرة»

زهرة: ما حال أمِّ الأفندي؟
حُسنَى:

سيدتي في العذابْ
مضى عليها أربعٌ   في كُربةٍ لا تُفْرَجُ

في النزعِ لا وعيَ لها والسرُّ ليس يخرجُ

زهرة: لديَّ خاطرٌ خطَرْ
حُسنَى: ما ذاك؟
أخرى: ماذا؟ ما الخبَرْ؟
زهرة:

أصغيْنَ ... مما جرّبوه في الأسرْ صوتُ «الفلوسِ» عند رأس المحتضَرْ
إن كان في دنياه بالبخل اشتهرْ يسمعها فينطفي على الأثَرْ
وكلما تأخرتْ عنه انتظرْ

حُسنَى:

إذن قُومي أريحيها إذن من هذه الحالَهْ

زهرة: وأين الشاشُ والفضةُ؟
حُسنَى: من مالِيَ يا خالهْ
زهرة:

مالُكِ أو مالُ سوا كِ كلُّ مالٍ قد حضَرْ
القصدُ أن يَقْرَع صَو تُ المالِ سمعَ المحتضَرْ
«حُسنَى» اسمعي لِيَ أصغِي هاتي ملاءةَ فرشِ
والآن فليُلق كلٌّ منكنَّ فيها بقرشِ

(ثم لحُسنَى)

«حُسنَى» خُذِي من طرَفٍ

(ثم الأخرى)

وأنتِ من ذاك الطرَفْ

(للجميع)

وأنا أبقَى ها هنا

(لصبي موجود)

وأنــت قُــم خُــذْ لا تَــخَــفْ

والآن فـلـنـقـمْ إلـى الـفـراشِ ومثلَ صُنِعي فاصنعوا بالشاشِ

(يدخل جمال)

جمال: ما الحال حُسنَى؟ وكيف أمستْ؟

حُسنَى: في النزعِ والكَرْبِ لا تزالُ

«يذهبون بالشاش حتى يقتربوا من فراش المحتضرة، وهم ممسكون بجهاته الأربع، فتخرج الأولى نقودًا وتلقيها في الشاش، فيعمل الباقون مثلها ويتقدم «جمال» فجأة ويخرج من جيوبه نقودًا، ويقول»

جمال:

وأنـا أيـضًـا أشـترِكْ هاكِ خُذِي ما أمتلكْ

وضعتُ كل فضتي كي تستريحَ جدتي

«يلقي بالنقود» «الأربعة يهزون الشاش بالنقود بينهم، وتقول الأولى مخاطبة المحتضرة»

الأولى:

امضِي ولا تُفَكِّرِي في المالِ   وانسَيْ حديثَ القرش والريالِ
أنـتِ ومـا مـلـكـتِ لـلـزوالِ
هـزُّوا مـعـي ... هـزُّوا مـعـي   يـا أيـهـا الـروحُ اطـلـعـي
إلــى الــنــعــيــمِ الأوسَــعِ
وديــعــة الــلــه انهــبــي   امــضــي ولا تُــعــذَّبــي
لــلــه عُــودي والــنَّــبــي

إحدى السيدات (بعد وفاة الجدة):

قد انقضى الأمرُ   قـد خـرجَ الـسـرُّ
«حُسنَى لكِ الأجرُ»

حُسنَى (لجمال):

الصبرَ ... واخرجْ سيدي جمالُ   لمثلِ ذا لا يصلحُ الرجالُ

المنظر الثاني

«في منزل المرحومة الست نظيفة. تظهر «حُسنَى» في ثوب أسود».

حُسنَى (لنفسها):

عَيني أحقٌّ أنني في منزلي؟   لا، كان لي فوهبتُهُ لجمالِ
غاليتُ في شَغَفِ الفؤادِ بحبِّهِ   حتى وهبتُ له الثمينَ الغالي
أعطيتُه ما كان أصبح في يدي   من مال جدته فليس بمالي
لم يرضَ قلبي أن أعيش سعيدة   ويعيشَ في بؤسٍ ورقة حالِ
أتُراه يقدرُ خدمتي ومحبتي   أو لا يمرُّ له الصنيعُ ببالِ؟

رحمة الله علَى سيدتي   وسقى الله ثراها وجزاها
حرمَتْني الشاشَ حتى ذهبتْ   فكسَتْني الخزَّ في الموتِ يداها
وحَمَتْني الماءَ حتى احتجبتْ   فسُقيتُ الشهدَ من فيض نداها
صار لي من بعدِها منزلُها   والدكاكينُ وآلتْ ضَيعتاها
ثروةٌ قد نهض الجوعُ بها   ومشى الحرمانُ فيها فبناها
وهبتْ لي كلّ ما قد ملكتْ   لم تَدَعْ من ذاك شيئًا لفتاها

(بعد لحظة)

لا ... ذاك مالُ جمالٍ   تركتُهُ لجمالِ
وعدتُ ما كنتُ مِن قَبْـ   ـلُ، فوطتِي هي مالي
أجل أنا الخادم والطاهِيَهْ   وما أنا السارقةُ الباغِيَهْ
ولا على الناس طفيليَّةٌ   أجعل أموالَهمو مالِيَهْ
سمعتُ حديثَ البخلِ حتى صحِبتُهُ   زمانًا أراه كلَّ حينٍ وأسمعُ
يروح ويغدو بين عينيَّ صورةً   ويأتي حِيالي بالحياةِ ويرجِعُ
سيدتي وبخلُها   في «الخُطِّ» سارا كالمثَلْ
وانتقلتْ وذكرُها   بالبخلِ فيه ما انتقلْ
يرحمها الله فما   أنسى لها تلك الجُمَل
في غضبٍ عند الحوا   رِ واضطرابٍ و«زعَلْ»
وما اختلفنا مرةً   في حَمَلٍ ولا جَمَلْ
لكنْ لأجلِ الثوم كا   نَ الخُلْفُ، أو حول البصلْ
ولم نكنْ من الدَقيـ   ـق ننتهي ولا العسَل
يرحمها الله وإن   لم تأتِ يومًا بحسَن
عاشت بثوبٍ واحدٍ   كالمَيتِ عاش بكفَن
أمَّا أنا ... فالشاش أو   ما دون ذاكَ في الثمَنْ
وبذلتي وفوطتي   طال عليهما الزمَنْ
وأجرتي عشرون قر   شًا مع كثرةِ المهَنْ

البـئـرُ لا أبـرحُـهـا خـارجـةً وداخـلَـهْ
صـاعـدةً كـالـدلـوِ كـلَّ سـاعـةٍ ونـازلـهْ
طـبَّـاخـة أصـنـع مـن لا شـيء شَـيـئًا نـأكـلُـهْ
وأنـحـنِـي عـلـى الـبـلا طِ كـلَّ حـيـن أغـسـلُـهْ
وكـلُّ دكـانٍ عـلـيَّ أجـرُهـا أحـصِّـلُـهُ

(تدخل زهرة)

زهرة: العوافِي يا ابنتي
حُسنَى:

مـن جـاءنـا؟ خالتي زهرةُ؟ أهلًا مرحبا
ادخـلـي

زهرة (لنفسها في حسد وحقد):

يـا لـك مـن طـبَّاخَـةٍ نثَر الحظُّ عليها الذهبا

(ثم لحُسنَى)

يا هَناكِ المالُ حُسنَى

حُسنَى: مال من؟
زهرة (لنفسها): هي تُخفي
حُسنَى: بلَّغوكِ الكَذِبا
زهرة:

عَجَبًا ... أنت إذن لم تَرِثِي مـال مـولاتِـكِ؟

حُسنَى:

لا. لا. عَــــجَـــبـــا
أنا يا خالةُ لستُ لِصَّةً   لعنَ الله الغِنَى الُمغْتَصَبا

زهرة:

إن للجيرانِ «حُسنَى»   ألسُنًا تَهذِي طوالا

حُسنَى: ما الذي قالوه؟
زهرة:

قـــــالـــــوا   أنتِ جَرَّدتِ جمالا

حُسنَى:

كذبوا والله لم ألــ   مس له باليدِ مالا

(تخرج «زهرة» وتتبعها «حُسنَى» ويدخل «جمال». تدخل «حُسنَى» فترى جمالا)

حُسنَى: مَن ها هنا؟ أهْوَ جمال سيدي؟
جمال:

أجل، أنا الغريبُ في بيتِ أبي
أنا الذي قد سلبوه مالهُ   لم يبقَ من مالِيَ ما لم أُسْلَبِ
قد ضربَتْني في الحياةِ جدتي   وفـــي الـــمـــمـــاتِ

حُسنَى:

ألـف لا، لـم تُـضْـرَبِ
اجلسْ. تفضلْ. استَرِحْ هَـوِّنْ عـلـيـك سـيـدي

جمال:

لم يبقَ من مالِكِ يا جدةُ شيءٌ في يدي
ضَيَّعْتِ أمسي ثم لم يَكْفِ فضيَّعْتِ غدي
حُــــســــــنَــــى

حسنى: جمال
جمال: افترقنا
حُسنَى:

كيف؟ لا أبدا

جمال:

تغيَّرَ الأمرُ من حالٍ إلى حالِ
أنتِ الغنيةُ «حُسنَى» والفقير أنا المال مالُكِ منذُ اليومِ لا مالي

حُسنَى:

المالُ يا جمالُ؟ الفقُر؟ الغِنى؟ ماذا تقول سيدي؟ ماذا جرى؟

جمال:

ألـيـس حـرمِـانـيَ لـونًـا مـتـقـنًـا طـبـخـتـه أنـت وجـدتـي مـعًـا؟
«حُسنَى» دَعِي الخُبْثَ ولا تَجاهَلِي

حُسنَى:

أتعلم الخبثَ عليَّ والرِّيا؟
حُـــــرمــــتَ مِـــــمَّ؟

جمال: من تراثِ جدتي
حُسنَى: إذن من الوارث
جمال: أنت لا أنا
حُسنَى:

أنـا أراك سيدي تـهزأ بـي　　كفى جمالُ سَخَرًا مني كفَى
أُقسمُ هذا الأمرُ لم أعمَلْ لَهُ　　وإنـنـي آخِـرُ من دَرَى بِـهِ

جمال:

أمـا رأيـتِ كـاتبًـا مـعـمَّـمًـا　　وشاهدَيْنِ يعملون ها هنا؟
وشيخةً تُملِي عليهم سخفَها　　تَحْرِمُ ذا قُربى وتعطِي أجنبا
كعينِ ربوةٍ تخطَّى خيرُها　　إلى الوهاد مُستحقَّاتِ الرُّبى

حُسنَى:

جـمـالُ سـيدي تـعـالَ نـحـتـكمْ　　إلى الحقوقِ والصوابِ والنُّهَى
هَبْ ما تقول يا جمالُ قد جرى

جمال: لقد جرى
حُسنَى:

هـاتِ الـكـتـابَ فـامـحُ مـا　　تـشـاءُ، واثـبـتْ مـا تَـشَـا
بَـدِّلْ وغَـيِّـرْ فـي كـتـا　　بِ وَقْـفِـهـا كـمـا تـرى
أنـت غِـنـايَ إنْ غـضـبـْ　　ـتَ ما انتفاعِي بالغنى؟

أمضي فأبغِي سيدًا أو أبتغِي   ســيــدةً أطــهــو لــهــا

جمال: ماذا أرى؟ تبكينَ حُسنَى؟ مِمَّ؟

حُسنَى: لا

جمال: كَفَي ابنتي كفي بُكا

حُسنَى:

خُذْ مالَها وخلِّني أعِشْ   كما كنتُ أعيشُ أوَّلا

جمال:

بحياتي قُولِي الحقيقةَ حُسنَى   أتــحــبّــيــنَــنِــي؟

حُسنَى: أجلْ، مِلْءَ قلبي

جمال: مثلَ حُبي؟

حُسنَى: جمالُ أحببتَنِي اليومَ؟

جمال:

قديمٌ وحقّ عينيكِ حُبِّي

كنتُ أهواكِ طفلةً تملئينَ الـ   ـبَيْتَ والحوش من صياحٍ ووثْب

كــنــت أهــواكِ طــفــلــةً   فــي الــكــوانــيــنِ نــافــخــهْ

كــنــت أهــواك خــادمًــا   كــنــت أهــواك طــابــخــهْ

(ثم يمسك يدها ويقول)

كم اشْتَهيْتُها يدًا   ما فرغَتْ من العمَل

كنت أراها كَيَدِ الـ   ـمَلْكَةِ أهلًا للقُبَلْ

وأشتهِي رائحَةَ الثَّـ   ـومِ عليها والبصلْ

حُسنَى: سيدي أنت خطبتَ؟
جمال: لا
حُسنَى:

نـــــــعـــــــــم بل خَطَبْتَ امرأةً ذاتَ يَسارْ
وأبـوهـا كـابـرٌ ذو لـقـبٍ وله زرعٌ وضرعٌ وعَقار

جمال:

وما تريدين «حُسنَى»؟ أ أنفضُ اليد منها؟
الـلــه ربُّ جـمــالٍ يُغنيهِ عنكِ وعنها

(امرأة تريد الصعود)

المرأة: أ أحدٌ في المنزلِ؟
جمال (من أعلى)**:** مَن هذه؟
المرأة:

أمُّ «عـــلـــي»
أنتَ هنا يا سيدي؟

جمال: أجل، تفضَّلي ادخلي
أم علي (تصعد)**:** دستورَكم
جمال:

تـــفـــضَّـــلِـــي لا أحدٌ في المنزلِ

حُسنَى (لجمال): من تلك من؟
جمال:

امـــــــــــــــــرأةٌ   مِن بيتِ أصهارِي الجُدُد
صــديــقــةٌ قــديــمــةٌ   فـي كل أمرٍ تـجـتـهـدْ

حُسنَى: ماذا تُريد يا ترى؟
جمال:

الآن نـعـلـم الـخـبَـرْ
أمـا أنـا فـلـيـس لـي   في بنتِ إنسانٍ وَطَرْ

حُسنَى: كرهتَ سيدي الغنى؟
جمال: أجــل
حُسنَى:

وهكذا أنا

(ثم وهي خارجة)

لا يأخذُ الإنسانُ مِن   دُنـيـاهُ إلا الـكَـفَـنَـا

(تدخل أم علي)

جمال:

يـا مـرحـبًـا أَمَّ عـلـي   ماذا حملتِ من خبرْ؟

أم علي:

كنتُ رسولَ الصفوِ والـــ ـــيومَ أتيتُ بالـكَدَرْ

جمال: ماذا؟
أم علي:

أصِخْ يا سيدي أمُّ العروسِ جُنَّتِ

جمال: كيف؟ ولِمْ أمَّ علي؟
أم علي: تريد فسخَ الخِطبةِ
جمال: كذا أنا
أم علي: وأنت أيضًا؟
جمال:

تلك كانت نِيَّتِي
قد سمعتْ لا شكَّ أنّـــ ـــي قد خَسِرْتُ ثروتي؟
قد علمتْ بأنني قد حَرمتني جدتي؟

أم علي: أجل
جمال:

فقالت مفِلسٌ ليس يليق لابنتي

أم علي:

وهذه «الشبكة» يا سيدي انظر. تأمَّلْ. خاتَمٌ لا يُعابْ
وهذه قيمةُ ما جاءنا من «سَبَتِ» النقلِ وغالي الثيابْ
خمسون خُذْها. عُدَّ. مِنْ عادتي

جمال (يأخذها)**:** أن تَغْلَطِي يا خالتي في الحسابْ

(ثم ينتهي من العد)

أم علي: هي خمسون سيدي

جمال:

هذه خمسةٌ لَكِ

اذهبي. لستُ ناسيًا أَبَدَ الدهرِ فضلَكِ

(تخرج أم علي ثم تدخل حُسنَى)

جمال (بعد أن يراها)**:**

رَبَّاهْ ... ما ذاك؟ تلك حُسنَى؟ مــن أيــن حُــســنَــى؟

حُسنَى:

مِــن الــســتــارَهْ

سمعتُ ما قالت العجوزُ ولم تَفُتْنِي لَها عِبارهْ

خُــذْ ســيــدي

جمال: ما ذلكا؟

حُسنَى:

ذلك وقفُ أسرتِكْ

(تناوله ورقة)

كانت شروطُ الوقفِ لي فاسْتُعْمِلتْ لخدمتِكْ

وما ظننتُ ثروتي ما كان غيرَ ثروتِكْ
ذاك اتفاق قد جرى بيني وبين جدتِكْ
ما أرصدتْ لجهتي حوَّلْتُهُ لجهتِكْ

جمال:

جدتي في مَمَاتِها بَرَّةٌ بي ومحسنَهْ
فعلتْ فيَّ فعلةً نبَّهتني من السِّنَهْ
ساء في المال مذهبي فرأت أن تُحَسِّنَهْ
وأنتِ «حُسنَى» أتحبينني؟

حسنى:

أ أنتَ في ذلك ترتابُ؟
قد كنتَ دنيا مغلقًا بابُها دُونِي ... فكيف انفتحَ البابُ؟

جمال:

الآن «حُسنَى» أَقْبلي نُجْرِ حديثَ ما مضى
كيف وجدتِ جدتي؟ وما مكاني عندها؟

حُسنَى:

تحبُّك الحبَّ الذي كانت تحبُّهُ ابنهَا
وتكتَسِي إن غبتَ عنـ ـها أو بَعُدْتَ الوَلَهَا
تكاد لا تسمعُ إنْ غِبْتَ ... تكادُ لا ترى

جمال:

فما لها كانت تُذيــ ـقُنِي الجفاءَ؟ ما لَها؟
فلو سألتُها العَمَى ضَنَّتْ عليَّ بالعَمَى

حُسنَى: سيدتي بخيلةٌ
جمال:

أعلمُ يا حُسنَى بِذَا
وهي إذا قيستْ إلى جَدِّيَ، كالغيْثِ نَدَى
علَّمها جَدِّي ... وكا ن أجمدَ الناسِ يدا

حُسنَى:

وأنا أيضًا سيدي أُصِبْتُ بالبخلِ أنا!

جمال:

حنانيكِ، ماذا قلتِ «حُسنَى» أخفْتِنِي أقـدَّرَ ربِّـي أنْ يـطـولَ عـذابـي؟
أأعداكِ حُسنَى بُخلُ جَدِّيَ. إنني إذنْ من مصاب صائرٌ لُمصابِ

حُسنَى:

لا تَخْشَ بخلي سيدي ... لستُ مَنْ تـبـخـلُ فـي حـقٍّ ولا واجـبِ

جمال:

ويـحِـي! أرمـيك بـالـبخــ ـــلِ؟ قَـبَّـحَ الـلـه ظـنِّـي
وقـــد رأيــتُ بـعـيــنــي وقــد ســمــعــتُ بــأذنـــي
فـــأنــتِ أرجــعــتِ مــالــي وكــان قــد ضــاع مــنـــي

فـمـا سـوى الـلـه «حُـسـنَـى» يَـقْـدِرُ يـجَـزيـكِ عـنـي
ستجمعنا الدنيا غدًا ... كيف يا تُرى يكونُ طعامي أو يكون شرابي؟

حُسنَى:

سـنـشـرب الـمـاء فـي أوانٍ غـالـيـةٍ حـلـوةٍ نـضـيـدَهْ
وبـيـرةً كـل ظـهـرِ يـومٍ وتوضع في الثلجِ والبرودَهْ

جمال: والأكل؟
حُسنَى:

مـا شـئـتَ مـن شـواءٍ ومن دفينٍ ومن عصيدَهْ

جمال: نسيتِ «حُسنَى» ما ليس يُنْسَى
حُسنَى: ما ذَلك؟
جمال:

«الباميةُ» الجديدهْ
هذه «الشبكةُ» التي أرجَعَتْها المغَفَّلَهْ
خاتمٌ قد وضعتُه في البنانِ المُقَبَّلَهْ

(يلبسها الخاتم ويقبل يدها)

حُسنَى: والمهر؟
جمال (يشير إلى النقود المردودة):

تـلـكَ هـي لَـكْ أعْطَى جمال ما مَلَكْ
ما المالُ مهرًا للمَلَكْ

حُسنَى: ومهرُكَ سيـدي؟
جمال:

مـــهـــرِي؟ تُــرانـــا تزوجنا على دينِ النصارَى؟
دَعِـي حُـسـنَـى الـمِـزَاحَ

حُسنَى:

أقُـــول جِـــــــــدًّا ولِمْ تأبَى؟ أتحسبُ ذاك عارا؟
وكم من مسلماتٍ سُقْنَ مهرًا وإن دُعِـيَ الأبـاعدَ والـعَـقـارا

جمال:

إذن هاتي اذكرِي مَهري وسـمِّـيـه عـلـى قَـدرِي
فـقـد تـعـطـيـنـنـي قرشًـا وقـرشـين ... ومـا أدرِي

حُسنَى:

بل الدنيا وما فيها وما جلَّ عن الحصْرِ
جمالُ انزل إلى البئرِ تجدْ مهرَكَ في القعرِ

جمال: مَهْرِيَ في البئرِ؟
حُسنَى: أجـلْ
جمال:

كيف هوَى؟ كيف نزَلْ؟
أنْـزِلُـها؟ هـذا خَـبَـلْ!

حُسنَى:

ننزلُ إن شئتَ معا لكي أريكَ الموضعا
هناك تُبصِرُ العَجَبْ

جمال: ما ذاكَ؟
حُسنَى:

صُندوقُ خَشَبْ
ممتلئ من الذهبْ

جمال:

هناك الذهبُ الحلوُ إذن طِيرِي بنا طِيرِي
قبلتُ المهرَ يا حُسنَى إلى البيرِ إلى البيرِ